فاذا هي مخالفة الهوى المكروه فقلت واعجبا لو وافق هواه من كان يكون
ولما قد خالفه لقد صار امرا عظيما تضرب الامثال بصبره ويفتخر على الخلق باحتماله
وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فيا له عزا وفخرا يقاوم كل لحظة من ذكره امثال
ساعة الصبر عن المحبوب وبالعكس منه حال ادم في موافقته هواه لقد عاده
يعصر في حضرة الله لولا تداركه فتاب عليه. فتلمحوا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية
الهوى فالعاقل من ميز بين الامرين الحلو والمر فان من عدل
ميزانه ولم تمل به كفة الهوى راى كل الارباح في الصبر وكل الخسرات في موافقة النفس
وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لاهل النهى والله الموفق. فصل رايت
الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب الا ان يمزج
بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين فاما مجرد العلم بالحلال والحرام
فليس له كبير عمل في رقة القلب وانما يرق القلب بذكر رقائق الاحاديث في
اخبار السلف الصالحين لانهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الافعال
المامور بها الى ذوق معانيها والمراد بها وما اخبرتك بهذا الا بعد معالجة
وذوق لاني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همة احدهم في الحديث
العالي وتكثير الاجزاء وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم
وكيف يرق القلب مع هذه الاشيا وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد
الصالح للنظر الى سمته وهديه لا لاقتباس علمه وذلك ان ثمرة علمه هديه وسمته

فافهم هذا

فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا
ليكون سببا لرقة قلبك وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الاخيار كتابا فيه اخباره
وادابه فجمعت كتابا في اخبار الحسن وكتابا في اخبار سفيان الثوري وابراهيم
بن ادهم وبشر الحافي واحمد بن حنبل ومعروف وغيرهم من العلما والزهاد والله
الموفق للمقصود ولا يصلح العمل مع قلة العلم فانهما في ضرب المثل كسائق وقائد
والنفس بينهما حرون ومع جد السائق والقائد ينقطع المنزل ونعوذ بالله
من الفتور. فصل ترخصت في شي يجوز في بعض المذاهب فوجدت في قلبي قسوة
عظيمة وتخايل لي نوع طرد عن الباب وبعد وظلمة تكاثفت فقالت نفسي ما هذا
اليس ما خرجت عن اجماع الفقها فقلت لها يا نفس السوء جوابك من وجهين احدهما
انك تاولت ما لا تعتقدين فلو استفتيتي لم تفتي بما فعلت قالت لو لم اعتقد
جواز ذلك ما فعلته قلت الا ان اعتقادك ما ترضينه لغيرك في الفتوى والثاني
انه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب فعلك لانه لولا نور في قلبك ما اثر
مثل هذا عندك قالت فلقد استوحشت بهذه الظلمة المتجددة في القلب فاعزمي
على الترك وقدري ما تركت جائزا بالاجماع وعدي هجره ورعا وقد سلمت. فصل
مما افادتني تجارب الزمان انه لا ينبغي لاحد ان يظاهر بالعداوة احدا ما
استطاع فانه ربما احتاج اليه وان الانسان قد لا يظن الحاجة اليه فيحتاج اليه
يوما ما كما قد يحتاج الى عود مسواك لا يلتفت اليه وكم من محتقر احتيج اليه وان لم

Copyright © King Saud University